حول كتاب سيبويه

للدكتور هشام الطعان

كتاب سيبويه يغني عن اي تعريف جديد ، وليس لاي دارس للعربية غنى عنه

ولستُ بصدد اضافة اطراءٍ جديد للكتاب ، او اكتشاف جانب جديد من جوانبه الثرّة . انما انا اطرح منهجاً لاعادة تحقيقه تحقيقاً يوازي نفاسته ، فقد طبع الكتاب عدة طبعات آخرها طبعة الاستاذ الفاضل عبد السلام محمد هارون ، وكانت خير طبعاته . وفي حدود جهد الفرد ، كانت احسن ما يتوقع المتوقع .

الاّ انني اطمح الى خير من هذه الطبعة ، وفق منهج اتبنّاهُ ، يتواءم مع المنهج العلمي للتحقيق ، على ان تنهض به لجنة من المختصين ، وذلك لوعورة الطرق الى القيام بهذا العبء الثقيل والضروري . وسالخّص وجهة نظري في :

(١) الرواية القديمة للكتاب :

فهي مظلمة مربكة ، حتى اذا اطّرحنا جانبا ما قيل من ان سيبويه قد اوصى بدفن نسخة الكتاب معه في قبره، لتهافت هذه القصة ، ولانّ ذلك يعني فيما يعني أن النسخة الوحيدة للكتاب قد دفنت ، وأن ما بايدينا من هذه النسخ الكثيرة ليست من الكتاب ولا من سيبويه في شيء.

القول : اذا اطّرحنا هذه القصة ، فان الرواية القديمة للكتاب تبقى مظلمة مربكة ، فقد قيل لنا : ان الاخفش الاوسط هو طريقنا الوحيدة الى

الكتاب وعنه رواه المازني والجرمي ، وعن المازني رواه المبرّد ، وعن المبرّد اخذه الزجاج وابو الحسين محمد بن ولّاد ، اما ابو عمر الجرمي فقد قرأه عليه المازني (!) والمبرّد .

وعلى الجرمي — لا علي الاخفش ! قرأه ابو اسحاق الزيادي الذي كان قد قرأه على سيبويه ولم يتمّه ثم فشا الكتاب وانتشر ، وكثر دارسوه وكثرت رواياته . الا ان هذه الروايات الاولى للكتاب لم تذكر دون تحريض فقد قيل ايضا ان سيبويه مات والكتاب بحوزة الاخفش ، فخشي الجرمي والمازني ان يدّعيه لنفسه ، فزعما انهما يريدان قراءته عليه وتتلمذا لـه حتى استخرجا الكتاب .

وقد احسّ الاوّلون ان بداية الكتاب مفاجئة ، مما يشعر ان سيبويه مات قبل ان يستوي كتابه وفق مناهج التاليف العربية .

وعلى اية حال ، لقد جاءت الطبعة الاخيرة — طبعة الاستاذ عبد السلام هارون — مصدّرة بسند كل رجاله من اعلام اللغة والنحو ، واعقب هذا الاسناد كلام لابي جعفر النحاس ، احد رواة الكتاب عن ابن ولّاد فيه ثناء على الكتاب ، ويبدو لي ان هذا الكلام قد اقحم اقحاما وقد وجدته مفردا في رسالة ضمن مجموع في مكتبة شهيد علي (بالسليمانية) .

ولو ان النُسخ جاءت متطابقة الاّ مما يعتري بعضها من تصحيف او تحريف او سقط او تلف .. الخ ، وهي امور مألوفة ، لكان الامر هيّنا، ولتغاضينا عن مسالة الرواية القديمة ، ولقلنا : ان عود التاليف في هذا الموضوع كان غضّاً ، ولم تقعّد له القواعد ، ولا لاسناده حينذاك كما ينبغي لكننا سنرى ان الامر جرى بخلاف ذلك .

(٢) النسـخ القديمة الباقيـة

لدينا نسخة قديمة لجزء من الكتاب في الخزانة المتوكلية ، بالجامع المقدس في صنعاء ، تقول بعثة معهد المخطوطات العربية عنه : يرجـع تاريخه الى ١٢٠٠ سنة ، اي الى قريب من عصر المؤلف .

وفي مكتبة الامبروزيانا في ميلانو نسخة مكتوبة على رق غزال مـن القرن الثالث للهجرة ، الموجود منها الجزآن التاسع والعاشر من الكتاب.

وفي لقاء اجرته مجلة الف باء مع الاستاذ عبد العزيز بنعبد اللـه، ذكر انه مازالت في المغرب النسخة الاصلية للكتاب (!) ولم اعرف ماذا عنى بالاصليـة .

ان كل نشرات الكتاب لم تستفد من أية من هذه النسخ القديمـة وهذا وحده كاف للتفكير في اعادة تحقيقه

(٣) نسخ الكتاب القديمة التي لدينا اخبارها ونتف منها :

لقد كانت العناية بالكتاب عظيمة منذ جيل الرواة الاول ، واستمرت هذه العناية قرونا طويلة ، واتسعت .وقد بدأ ابو عمر الجرمي بنسبة شواهد الكتاب ، ونقل ابن المستوفي انه وجد في بعض نسخ الكتاب : قال ابو عثمان المازني (١)

وألّف المبرد في نقده واطّرد بعد ذلك التاليف شرحا وتعليقا وشرحا للشواهد .. الخ . وللشروح شأن اذكره ، الا انني وجدت اشارات كثيرة الى نسخ للكتاب كانت في حوزة اعلام اللغة والنحو في عصور مختلفة

---

(١) شرح ابيات المغني ــ البغدادي ١/٣٧٣

فقد كانت للفراء نسخة ،وللجاحظ نسخة .وقال البغدادي مرة : عندي نسختان جليلتان من كتاب سيبويه (٢) .وذكر مرة اخرى : نسخة عتيقة من الكتاب تختلف عن النسخ المعروفة (٣) ونقل ابن سيده عن ابي علي الفارسي قوله: وفي بعض النسخ من كتاب سيبويه .. وفي نسخة اخرى (٤)

ولا اظن ان استقصاء هذه الاشارات الصريحة هو كل ما يراد من محققي الكتاب ، وانما يجب ان نفترض ان الزمخشري كانت لديه نسخة في الاقل ،وكذلك البكري، والسيوطي ،وابو حيان النحوي، وكل من نقل عن كتاب سيبويه .

ان ضياع هذه النسخ لا يبتّ في العضد ، فقد تناثر الكثير منها في مؤلفات هؤلاء الاعلام ، وسنرى اية فوائد يمكن ان نفيدها من هذه النتف المبعثرة .

ان على اللجنة التي تأخذ على عاتقها تحقيق الكتاب ، ان تشمّر عن سواعدها لاستخراج هذه النتف من مظانّها . وقد يسّر الاستاذ كوركيس عواد في كتابه (سيبويه امام النحاة) كثيراً من هذا الامر .

ان هذه النتف ستكون عوناً كبيراً للمحققين .

(٤) شروح الكتاب وما اليها

لقد ذكرت العناية بالكتاب شرحاً وتعليقاً ونقداً ، وقد وصل الينا الشيء الكثير من هذه الكتب ، وطبع قسمٌ منها .

---

(٢) شرح ابيات المغني ــ البغدادي ٢/٨١ــ٨٢

(٣) شرح ابيات المغني ــ البغدادي ١/١١٧

(٤) المخصص ١٤/١٤٥

ان بعض النشرات قد افادت من بعض هذه الكتب ،وهو منهج سليم، لكنّ امامَ المحققين ان يفيدوا من كل الشروح والتعليقات والدراسات القديمة الباقية ، المطبوعة والمخطوطة ، لانها تحمل في اثنائها نتفاً من نوع النتف التي اشرت اليها ، بل اكثر .

من هذه الكتب التي لم يشر الاستاذ كوركيس عواد الى وجودها :

ا ــ تعليقة ابي علي الفارسي على كتاب سيبويه .

في مكتبة شهيد علي (بالسليمانية) رقمها ٢٣٥٧

ب ــ تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الابنية، لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني .

ضمن مجموع في مكتبة شهيد علي (بالسليمانية) رقمه ٢٣٥٨

(٥) العيــن والكتــاب

وهما كتابان حويا جلّ علم الخليل بن احمد الاّ ان العين نسب اليــه تارة ونسب الى تلميذه الليث تارة اخرى . اما الكتاب فقد نسب سيبويه صراحة ، وتكفل سيبويه بحفظ حقوق شيخه ، فاشار الى كل ما اخذه عن الخليل ، وهو معظم الكتاب .

ان موادّ ــ تكثر او تقلّ ــ تشترك في الكتابين . وعلى المحققين الافادة من ذلك

نماذج مما حققته مما يبرر الدعوة الى اعادة التحقيق

موادّ موجودة في كتب الاقدمين منسوبة الى سيبويه،وليست موجودة في كتابه مثلما (نقل السيوطي ان السخاوي ذكر في « شرح المفصل » ان سيبويه انشده (٥) بلفظ : لاتتركني فيهم اسيرا)

---

(٥) البيت : لاتتركني فيهم شطيرا اني اذن اهلك او اطيرا

قال البغدادي : واقول : ان هذا الشعر غير مذكور في كتاب سيبويه البتة ، ولم اقف على قائله (٦) والاية الكريمة (فذلك الذي يدُعُّ اليتيم)

في البرهان ٤:٣٠١ جعل الاخفش الفاء زائدة وقال سيبويه : هي جواب لشرط مقدر . اي أن اردت علمه فذلك . العكبري ٢ : ١٦١ والمغنى ١٧٥:٢

علق الاستاذ عضيمه الذي اورد ذلك : سيبويه لم يذكر هذه الآية في كتابه(٧)

قد تكون هذه الموادّ من امالي سيبويه ، مما لم يضمّنه كتابه ، الا اننا لا نستطيع ان نبتّ في ذلك ، فعلى المحققين أن يدخلوا ما نُصّ على انه من الكتاب في صلب الكتاب ، وان يجعلوا البقية ملحقاً به .

(٢) موادّ منصوص على كونها من الكتاب وهي موجودة فيه ، ولكن القراءتين تختلفان اختلافاً كبيراً مثلما ذكر البكرى ان سيبويه قال في كتابه: « الدُّوَل » في كنانة و (الدُّول) غير مهموز في حنيفة و(الديل) في عبد القيس (٨)

وجاء في التنبيه للبكري ايضا : قال سيبويه رحمه الله : (الدُّئِل) في كنانة على وزن (فُعِل) وهو مثال عزيز و (الدَّوْل) في حنيفة و (الدِيل) في عبد القيس (٩) والذي في الكتاب غير هذا وذاك .

وقال الزمخشري : البُضع مصدر « بَضَع المراة » اذا جامعها .ومثله فيما حكاه سيبويه : قَرَعها قَرْعاً وذَقَطها ذُقطاً (١٠) كل ذلك بالضم .

---

(٦) شرح ابيات المغنى ١ /٨٩

(٧) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢/٢٤٥

(٨) سمط اللآلي ص٦٦

(٩) التنبيه ص ٤٤

(١٠) الفائق ١/١١٥

وفي الكتاب : وقالوا دَفَعَها دَفْعاً كالقَرْعِ ، وذَقَطَها ذَقْطاً ، وهو النكاح ونحوه ، من باب المباضعة (١١) كل ذلك بالفتح .

وجاء في الفائق للزمخشري : حُنْظَب : ذكر الخنافس ، وقد يفتح ظاء حنظَب ، وهذا عند سيبويه دليل على زيادة النون ، وان الوزن فُنْعَل لانّ فُعْلَلا ليس بثبت عنده (١٢)

اما في الكتاب فجاء : واما النون فتلحق (ثالثة) فيكون الحرف على فُنْعَل في الاسماء مثل قُنْبَر وعُنْظَب (١٣) (بالعين)

ان ما أوردته نماذج فقط ، واظن تتبعه سيكشف عن شيء كثير .

الدكتور هاشم الطعان

---

(١١) الكتاب ٤/٩

(١٢) الفائق ١/٣٢٧

(١٣) الكتاب ٤/٢٦٩